نماذج من اختلاف القراءات وبيان آثارها

نماذج مختارة مِن سورة (الأنبياء)

من الجزء (السابع عشر)

إعداد الدكتور
عدنان بن عبد الرزّاق الحموي العُلَبي
أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والقانون
جامعة الإمارات العربية المتحدة

ملخص البحث

يعدُّ الاختلاف في أوجه القراءات ثروة غنية وكنزاً ثميناً من كنوز التشريع الإسلامي، بما يحويه من معان ودلالات ذات آثار تشريعية قيِّمة في مجال التفسير واللغة والفقه والأحكام.

ويتخطَّى معنى الأمر من النبي ﷺ بقراءة ما تيسَّر من الأحرف السبعة والإصابة فيها إلى ما هو أبعد من ذلك فهماً وتحليلاً، يتجلَّى في التوجيه إلى التبصُّر والاستنباط، والنظر والاجتهاد في مدلولات تلك الاختلافات، والغوص بحثاً عن الآثار الناتجة عن تلك القراءات.

ويظلُّ القرآن الكريم معجزاً في كل ما تحمله كلمته واسمه من معان ــ إعجازاً يستمدُّ ديمومته من حفظ القرآن وبقائه إلى قيام الساعة، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {٩}﴾ [الحجر: ٩]؛ يتجلَّى ذلك الإعجاز في لغته ومعانيها، وفي دقة دلالاتها وما يمكن الاستنباط منها، وفي وجوه تفسيرها، وفي فقهه وبيانه. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ{١٩}﴾ [القيامة: ١٩].

وفي هذا البحث محاولة متواضعة لخمسة نماذج منوعة من الجزء (السابع عشر) لسورة (الأنبياء) حصراً تخيَّرت فيها من المفردات المختلف في القراءة بها اختلافاً متواتراً مما تميَّزت به من أثر تشريعي بالغ الأهمية، أو فقه تتجلَّى فيه مرونة التشريع ويسره، أو توجيه لغوي يثري النص تفسيراً وتحليلاً، ويضفي إليه من الشمول والتكامل ما لا يخفى.

وقد سلكت في البحث منهجاً واضحاً التزمت فيه بيان أوجه الاختلاف عند القرَّاء السبعة، ثم بيَّنت التوجيه النحويَّ واللغويَّ في هذه الأوجه، لأصل إلى ما تمخَّض عنه هذا الاختلاف من آثار في التفسير والأحكام الفقهية وغيرها، ثم خلصت إلى اختيار الوجه الأقوى من حيث النقل (السند)، ومن حيث المضمون: لغة ودلالة وتفسيراً، معتمداً في ذلك على الأقوال المعتمَدة لأهل العلم والاختصاص.

والله من وراء القصد.

Research Summary

Differences in recitations of the Holy Quran are one of Islamic legislation's valuable treasures. These different faces of recitation contain meanings and indications of immense legislative value in the areas of Quranic explanation, language, and regulations.

The differences go beyond ordering the Prophet (Peace be Upon Him) to recite the seven recitations of the Holy Quran accurately to actual understanding and analysis which leads to enlightenment and conclusion drawing on what these differences mean. This also leads to searching for the effects of these recitations.

The Holy Quran remains miraculous in the broadest sense of the word keeping its miracle alive with its preservation till the day of judgment. This is testimony to the saying of Allah: "We have descended the remembrance, and We of it are preserving." Sura Alhejr, Verse 9. The miracle of the Quran is revealed in its language and meanings, in its accurate inferences and what can be deducted from them, in its different faces of explanation, and in its legislations and revelations. This is as Allah has said: "Then it is our responsibility to reveal it." Sura Alqeyama, Verse 19.

This research is a modest attempt at explaining five different vocabulary instances from Part 17 of the Holy Quran Sura Alanbiya'a which are proven to have different recitations.

These differences cause profound effects on legislation, reveal leniency and flexibility in legislation, or points to hidden language which adds a wholistic view.

A clear strategy has been followed in this research to show the different facets of differences in the seven recitations, to show language and grammar differences, to show effects on legislation, then to show the most likely recitation with regards to the strongest line of reciters and the contents in the areas of language, meaning, and explanation. This is based on statements from knowledge worthy scholars and specialists in this field. Allah being behind my intentions.

النموذج الأول: الاختلاف في: لِتُحْصِنَكُم

من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ {٨٠}﴾[الأنبياء: ٨٠].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

قرأ[١] ابن كثير[٢] ونافع[٣] وأبو عمرو[٤] وحمزة[٥] والكسائي[٦]:

((١) يقصد بالقَرَأة هنا القراء السبعة أصحاب القراءات السبع المتواترة. انظر تراجمهم موسعة في: كتاب السبعة في القراءات: ص: ٥٣ــ٨٧. والنشر في القراءات العشر: ١/٨٢ــ١٣٥، وغاية النهاية في طبقات القراء.

(٢) عبد الله بن كثير إمام أهل مكة، ولد سنة ٤٥هـ وتوفي بها سنة ١٢٠هـ. وأشهر رواته: قنبل محمد بن عبد الرحمن المتوفى بمكة سنة ٢٨٠هـ، والبزّي أحمد بن محمد بن أبي بزّة المكي المتوفى بمكة سنة ٢٤٠هـ.

(٣) أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، ولد سنة ٧٠هـ، وهو إمام دار الهجرة (المدينة)، توفي سنة ١٦٩هـ، وأشهر رواته: عيسى بن مينا الملقب بقالون المتوفى سنة ٢٢٠ هـ، وعثمان بن سعيد المصري الملقب بورش المتوفى سنة ١٩٧ هـ.

(٤) أبو عمرو بن العلاء، ولد بمكة سنة ٦٨هـ وهو إمام أهل البصرة، توفي بالكوفة سنة ١٥٤هـ. وأشهر رواته: الدوري المتوفى سنة ٢٤٦هـ، والسوسي المتوفى سنة ٢٦١هـ.

(٥) حمزة بن حبيب الزيات، ولد سنة ٨٠هـ، من أئمة أهل الكوفة، توفي سنة ١٥٦هـ. وأشهر رواته: خلف بن هشام المتوفى سنة ٢٢٩هـ، وخلاد خالد بن يزيد الكوفي المتوفى سنة ٢٢٠هـ.

(٦) علي بن حمزة الكسائي، ولد سنة ١٨٩هـ من أئمة أهل الكوفة أيضاً، توفي سنة ١٨٩هـ. وأشهر رواته: حفص بن عمر الدوري المتوفى سنة

(لِيُحْصِنَكُم) بالياء المضمومة على التذكير.

وقرأ ابن عامر[١] وحفص عن عاصم[٢]: لِتُحْصِنَكُم بالتاء المضمومة على التأنيث.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: (لِنُحْصِنَكُم) بالنون المضمومة[٣].

ثانياً: التوجيه النحوي:

قراءة ياء الغَيبة (لِيُحْصِنَكُم): الفاعل فيها ضمير يعود على الله تعالى، وفيه التفات، إذ جاء بعد ضمير متكلم في: وعلمنه، أو يعود على داود عليه السلام، أو على الصنع، أو على التعليم، ويدلُّ عليه قوله: وَعَلَّمنَه أو على اللباس، لأن اللبوس بمعنى اللِّباس من حيث كان ضرباً منه. وإسناد الفعل إلى ضمير اللبوس مجازي من إسناد الفعل إلى سببه.

وقراءة تاء التأنيث لِتُحْصِنَكُم على أنه مضارع مسند إلى ضمير الصنعة المفهوم من قوله: قال تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ، وهي مؤنثة، والفاعل فيها ضمير يعود على الصنعة أو اللبوس، لأنه يراد بها الدروع، ودرع الحديد تؤنث وتُذكَّر، فهي مؤنثة تأنيثاً مجازياً. وإسناد الفعل إلى الصنعة أو اللبوس إسناد مجازي أيضاً، من إسناد الفعل إلى سببه.

وقراءة نون العظمة (لِنُحْصِنَكُم): الفعل مسند إلى ضمير العظمة، والفاعل فيها ضمير يعود على الله تبارك وتعالى، وهو إسناد حقيقي[٤].

٢٤٦هـ، وأبو الحارث الليث بن خالد المتوفى سنة ٢٤٠هـ.

(١) عبد الله بن عامر اليحصبي، ولد سنة ٢١هـ وهو إمام أهل القراءة في الشام، توفي بدمشق سنة ١١٨هـ. وأشهر رواته: هشام بن عمار المتوفى سنة ٢٤٥هـ، وعبد الله بن أحمد بن ذكوان المتوفى سنة ٢٤٢هـ.

(٢) أبو بكر عاصم بن أبي النجود إمام أهل الكوفة، توفي سنة ١٢٧هـ. وأشهر رواته: أبو بكر الأسدي شعبة بن عياش الكوفي المتوفى سنة ١٩٣هـ، وحفص بن سليمان الكوفي المتوفى سنة ١٩٠هـ.

(٣) كتاب السبعة في القراءات: ص: ٤٣٠، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١١٢/٢، والنشر في القراءات العشر: ٢٤٣/٢.

(٤) إتحاف فضلاء البشر: ص: ٣٩٣، والحجة للقراء السبعة: ٢٥٨/٥، وتفسير البحر المحيط: ٣٣٢/٦، وتفسير الكشاف: ٥٨٠/٢، والتبيان في إعراب القرآن: ص: ٥٨٢، والهادي شرح طيبة النشر: ٥٨/٣، وحجة القراءات: ص: ٤٦٩، والحجة في القراءات السبع: ص: ٢٥٠، ومعاني القرآن للفراء: ٢٠٩/٢، والكشف عن

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ
وتُصبِحُ غَرْثَى مِن لُحُومِ الغَوَافِلِ[٣]

موضع الشاهد: (حصان)، بمعنى: عفيفة.

حجة قراءة التاء: تُحْصِنَكُم: رداً على الصنعة، وكان الله تعالى قد ألان الحديد لداود عليه السلام، فكان يُحيلُه في يده كالشمعة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ [سبأ: ١٠ـ١١]، يعني: الدروع، ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ [سبأ: ١١]، يعني: الثقب والحلَق. واللباس: الحرب والشدة. فجعل الله تعالى الدروع والسلاح والخيل حصوناً لبني آدم تصونهم

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

أصل الحصن: المنع. والحِصن: كل موضع حصين لا يوصل إلى جوفه، ولا يُقدَر عليه لارتفاعه، فهو منيع، وجمعه حصون. يقال: تحصَّن، إذا اتخذ الحصن مسكناً، ثم يُتَجوَّز به في كل تحرُّز[١]. والإحصان: الوقاية والحماية.

والمرأة الحَصان هي العفيفة، أو المتزوجة. وأنشد حسان بن ثابت ﷺ[٢]:

وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١١٢/٢.

(١) المفردات في غريب القرآن: ص: ١٢١، والقاموس المحيط: ص: ١٥٣٦، والمصباح المنير: ١٩٠/١.

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، من بني النجار ثم من الخزرج. ينتهي نسبه إلى قحطان. أمه الفُرَيْعَة بنت خالد بن قيس، وهي خزرجية. وكان يكنى: أبا الوليد وأبا عبد الرحمن وأبا حسام. ولد في يثرب قبل الإسلام، وأسلم مع الأوس والخزرج فكان أنصارياً. اشتهر بسلاحه اللساني، فكان شاعر الرسول ﷺ يمدحه ويرد على من يهجوه، والنبي ﷺ يقول له في القتال: اهجهم وروح القدس معك. وكان من المعمرين، قيل عاش ١٢٠ سنة، نصفها في الجاهلية، ونصفها في الإسلام. مات في المدينة سنة ٥٠هـ. انظر: الإصابة: ٦٢/٢، رقم: ١٧٠٦، وأسد الغابة: ٦/٢.

(٣) الحصان: العفيفة الرزان ذات الثبات والوقار والعفاف. تُزَنُّ: تُتهم. غرثى: جائعة، وفي المَثَل: غرثان فأربكوا له: أي: اصنعوا له طعاماً. الغوافل، جمعٌ مفرده غافلة: أي أنها لا ترتع في أعراض الناس. قاله حسان بن ثابت ﷺ ضمن قصيدة يعتذر فيها من الذي كان في شأن عائشة رضي الله عنها. والقصيدة في سيرة ابن هشام: ٧٣٩/٢، والروض الأنف: ٢٢٤/٢، وعيون الأثر: ٣٠١/٢. انظر: شرح ديوان حسان: ٥١٠/١، ومجمع الأمثال: ٦٧/٢.

وتمنعهم، وتحفظهم من جراحات القتال، وتحميهم من عدوِّهم[١].

قال الزجاج[٢]: علَّم الله تعالى داود صنعة الدروع من الزرد، ولم تكن قبلَ داود عليه السلام، فجمَّعت الخفَّة والتحصين، كذا روي[٣].

وحجة قراءة الياء: (ليحصنكم) أن الله هو المحصِن بالدرع من البأس، وهو المحصَن بتصيير الله إياه كذلك. ومعنى قوله: (ليحصنكم)، أي: ليحرزكم ويحميكم ويمنعكم، وهو من قوله: قد أحصن فلان جاريته[٤].

وحجة قراءة النون: (لنحصنكم) أن الفاعل الحقيقي في التحصين هو (الله تعالى)، وهو المحصِّن لا الدرع، وهو مناسب لقوله تعالى قبله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾. أي: علَّمناه لنحصنكم[٥].

رابعاً: التفسير:

تبيِّن الآية الكريمة عفَّة نبي الله داود عليه السلام في أن يأخذ شيئاً من مال غيره يقيم به أوده، لشدة ورعه وتقواه. فسأل الله تعالى أن يمكِّنه من عمل يرتزق منه، فألان له الحديد، يعمل منه بغير نار كأنه طين. وكان أول من اتخذ حرفة صناعة قمصان من حلقات الحديد، يجعلها دروعاً، وكانت الدروع قبله صفائح تثقل على المحارب حركته، فهو أول من جعلها حلَقاً، وأدخل بعضها في بعض، يلبسها المحارب، فتصدُّ عنه ضربات السيوف، وطعنات الرماح أثناء الحروب، فجاءت

(١) إعراب القراءات السبع وعللها: ٦٥/٢، ومحاسن التأويل: ٤٢٩٥/١١، والتحرير والتنوير: ١٢٠/١٧.

(٢) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، نسبة إلى خرطه الزجاج أيام فتوَّته، ولد في بغداد سنة ٢٤١هـ، وتوفي فيها سنة ٣١١هـ، تلميذ المبرد، وعالم بالنحو واللغة، عمل مؤدباً لابن عبد الله بن سليمان وزير المعتضد العباسي. له مناقشات مع ثعلب وغيره. من كتبه: معاني القرآن وإعرابه، والاشتقاق، والأمالي، والمثلث. انظر: معجم الأدباء: ٤٧/١، وبغية الوعاة: ٤١١/١، والأعلام: ٤٠/١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٠/٣، وتفسير البغوي: ٣٠١/٣، وتفسير الخازن: ٢٦٧/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥٥/١٧.

(٥) إتحاف فضلاء البشر: ص: ٣٩٣، والحجة للقراء السبعة: ٢٥٨/٥، وتفسير البحر المحيط: ٣٣٢/٦، وتفسير الكشاف: ٥٨٠/٢، والتبيان في إعراب القرآن: ص: ٥٨٢، والهادي شرح طيبة النشر: ٥٨/٣، وحجة القراءات: ص: ٤٦٩، والحجة في القراءات السبع: ص: ٢٥٠، ومعاني القرآن للفراء: ٢٠٩/٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١١٢/٢، وزاد المسير: ٢٧٥/٥، وتفسير البحر المحيط: ٣٣١/٦، وتفسير الكشاف: ٥٨٠/٢، وتفسير روح المعاني: ٧٧/١٧.

أخفَّ محملاً وأحسنَ وقاية. واللبوس عند العرب: السلاح كله؛ درعاً كان أو سيفاً، أو رمحاً. قال أبو كبير الهذلي[١] يصف رمحاً:

ومعي لَبوس للبئيس كأنه
روقٌ بجبهة ذي نعاج مجْفِلِ[٢]

موطن الشاهد: (اللبوس)، وهو كل ما يلبسه أو يتسلَّح العربي به.

ثم تعلَّم الناس ذلك منه، وتوارثوا هذه الصنعة، وأصبحت هذه النعمة عليه نعمة على جميع المحاربين أبد الدهر، لحماية الناس ومنعهم وحراستهم من شدة الحرب في القتال، من جرح وقتل وضرب، فلزمهم شكر الله تعالى عليها.

وفي هذه الآية دليل على وجوب اتخاذ الصانع للأسباب، فالسبب سنة الله تعالى في خلقه، وهي شهادة للعمال وأهل الحِرَف والصنائع أن العمل شرف، واتخاذ الحرفة كرامة. فيخبر الله تعالى عن داود وصناعة الدروع، وأيضاً عن صناعته الخوص، ويخبر النبي ﷺ أن داود كان يأكل من عمل يده، وذلك أفضل الكسب.

فعن المقدام ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده))[٣].

وكان آدم حرَّاثاً، ونوح نجَّاراً يصنع السفن، وإدريس ولقمان خيَّاطَين، وطالوت دبَّاغاً أو سقَّاءً. وهكذا كان منهج الأنبياء والمرسلين في حياتهم، مما يؤكد دعوة الدين إلى العمل، ووجوب السعي في أسبابه، وكره البطالة والكسل.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو ــ أحسبه قال ــ إلى الجبل، فيحتطب، فيبيع فيأكل، ويتصدق، خير له من أن يسأل الناس))[٤].

(١) عامر بن الحليس أبو كبير بن السهلي الهذلي، شاعر فحل من شعراء الحماسة. قيل: أدرك الإسلام وأسلم، وله خبر مع النبي ﷺ. الموسوعة الشعرية.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣٢٠/١١، وتفسير فتح القدير: ٤١٩/٣، والمحرر الوجيز: ١٨٥/١٠، وتفسير الطبري: ٥٤/١٧، وتفسير روح المعاني: ٧٧/١٧، والتفسير الكبير للرازي: ٢٠١/٢٢، وتفسير البحر المحيط: ٣٣١/٦، وتفسير روح المعاني: ٧٧/١٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده: ١٢/٣، رقم الحديث: ٢٠٧٣.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]: ٤٥٧/٢، رقم الحديث: ١٤٨٠.

فبالصنعة يدفع المرء الضرر والبأس عن نفسه، وبها يكفُّ نفسه عن حاجة الآخرين وسؤالهم. والله تعالى يحب المؤمن المحترف المتعفف، ويبغض السائل الملحف[١].

خامساً: الاختيار:

ذهب الطبري[٢] إلى أن القراءات الثلاث متقاربات المعاني، وذلك أن الصنعة هي اللبوس، واللبوس هي الصنعة، والله هو المحصَن به من البأس، وهو المحصِن بتصيير الله إياه كذلك[٣].

والإختيار لقراءة الياء: (ليحصنكم)، من حيث:

١ــ إنها قراءة الأكثرين، وعليها الحجة من قرّاة الأمصار، فهي أقوى سنداً.

٢ــ الإسناد فيها حقيقي إلى الله تعالى، مجازي في غيره، مما يميزها عن غيرها لغة.

٣ــ الضمير في فعل الإحصان يحتمل أكثر من معنى، فهي أعمُّ وأشمل دلالة وتفسيراً.

والله تعالى أعلم.

النموذج الثاني: الاختلاف في: ﴿ وَحَرَامٌ ﴾

من قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿ وَحَرَامٌ ﴾ بفتح الحاء والراء وألف بعدها.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: (وَحِرْمٌ) بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف بعدها[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٢١/١١، وتفسير الخازن: ٢٦٧/٣، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ١٧٨/٦، والتفسير المنير: ١٠٧/١٧.

(٢) الإمام العَلَم شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الآملي. ولد في آمل سنة ٢٢٤هـ. وهو مفسر، ومؤرخ، وفقيه بلغ رتبة الاجتهاد. عرض عليه القضاء فامتنع، وولاية المظالم فأبى. توفي في بغداد سنة ٣١٠ هـ. له تصانيف كثيرة أشهرها: جامع البيان في تفسير القرآن، ويعرف بتفسير الطبري، وأخبار الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، والقراءات، واختلاف الفقهاء، وتهذيب الآثار. انظر: تاريخ بغداد: ١٦٢/٢، وطبقات الشافعية الكبرى: ٦٣/١، والأعلام: ١٩/٦.

(٣) تفسير الطبري: ٥٥/١٧.

(٤) كتاب السبعة في القراءات: ص: ٤٣١، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها

وحججها: ١١٤/٢، والنشر في القراءات العشر: ٢٤٣/٢، وإتحاف فضلاء البشر: ص: ٣٩٤.

ثانياً: التوجيه اللغوي:

قال قطرب[١]: (حِرْم وحرام) لغتان، وهما مصدران مثل: (حِلّ وحَلال). وإعرابهما: مبتدأ مرفوع باتفاق.

وفي الخبر وجهان:

١ــ جملة (أنهم لا يرجعون). (لا) زائدة للتأكيد، أي: ممتنع رجوعهم إلى الدنيا. أو (لا) ليست زائدة، أي: ممتنع عدم رجوعهم عن معصيتهم.

٢ــ الخبر محذوف تقديره: حرام توبتهم، أو رجاء بعثتهم، على اعتبار (لا) زائدة للتأكيد.

وقيل: (حرام) خبر لمبتدأ محذوف، أي: ذلك الذي ذكرناه من العمل الصالح حرام.

وقيل: التقدير: إن عدم رجوعهم حرام. أي: ممتنع[٢].

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

أصل الحرم: الحرام الممنوع منه؛ إما بتسخير إلهي، وإما بمنع قهري، وإما بمنع من جهة العقل، أو من جهة الشرع، أو من جهة مَن يرتسم أمره[٣].

والآية الشاهد هنا من النوع الأول ــ التحريم بالتسخير ــ؛ بمعنى: ممتنع رجوعهم إلى الدنيا، والتوبة فيها. والكلام في الآية على تقدير مضاف، أي: حرام على أهل قرية. والقرية مجاز عن أهلها. والحرام مستعار للممتنع وجوده، بجامع أن كل واحد منهما غير مرجو الحصول[٤].

وحِرْمٌ وحرام لغتان في وصف الفعل الذي وجب تركه، يقال: هذا حِرْمٌ وحَرام، كما يقال: فيما أبيح فعله: هذا حِلٌ وحَلال[٥].

---

(١) هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد الشهير بقطرب، نحوي وعالم بالأدب واللغة من أهل البصرة ومن الموالي. كان يرى رأي المعتزلة النظامية، وهو أول من وضع المثلث في اللغة. وقطرب لقبٌ دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه. توفي سنة ٢٠٦ هـ. من كتبه: معاني القرآن، والنوادر، والأزمنة، والأضداد، وغريب الحديث. انظر: تاريخ بغداد: ٢٩٨/٣، وبغية الوعاة: ٢٤٢/١، والأعلام: ٩٥/٧.

(٢) التفسير الكبير للرازي: ٢٢٠/٢٢، والتبيان في إعراب القرآن: ص: ٥٨٤، والحجة للقراء السبعة: ٢٦١/٥، والتفسير المنير: ١٢٧/١٧، والمحرر الوجيز: ٢٠٣/١٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ص: ١١٤.

(٤) تفسير روح المعاني: ٩٠/١٧.

(٥) معاني القرآن للفراء: ٢١١/٢، وإعراب القراءات السبع وعللها: ٦٨/٢، والهادي شرح طيبة النشر: ٦٠/٣.

وقال قوم: (حِرْم) يأتي بمعنى (عزْم)، فتأتي هنا بمعنى اليمين، كما تقول: عزمت عليك، وكما يقال: حلفت على فلان أن لا ينطق. وكقول الراعي[١]:

إني حلفت على يمين برَّة ... لا أكتم اليوم الخليفة قيلا

موطن الشاهد: (حلفت على) بمعنى: (عزمت على)، وكلتاهما بمعنى اليمين.

وفي حديث عمر ﷺ: (في الحرام كفارة يمين). وهو أن يقول الرجل: حرام الله لا أفعل، كما يقول: يمين الله لا أفعل، وهي لغة العقيليين[٢].

ويكون الحرام بمعنى الواجب[٣]. أي: وجب على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون[٤]. كما قالت الخنساء[٥]:

وإنَّ حراماً لا أرى الدهر باكياً ... على شجْوِه إلا بَكيتُ على صَخرِ[٦]

---

(١) الراعي النميري: أبو جندل عبيد بن حُصين بن معاوية بن جندل النميري، من فحول الشعراء المخذلين. كان من جلّة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل، وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد. وقيل كان راعي إبل من أهل بادية البصرة. عاصر جريراً والفرزدق، وكان يفضّل الفرزدق لهجاء جرير هجاءً مرّاً، وهو من أصحاب الملحمات، وسمّاه بعض الرواة حصين بن معاوية. الموسوعة الشعرية.

(٢) التحرير والتنوير: ١٤٦/١٧، ولسان العرب: ١٢٩/١٢. مادة: حرم. وبنو عقيل يقولون: حرام الله لأنيلك. كما يقال: يمين الله لأنيلك

(٣) وقد نسب القول الأول إلى سعيد بن جبير، والثاني إلى الكسائي. حجة القراءات: ص: ٤٧٠، ولسان العرب: ١٢٧/١٢، مادة (حرم).

(٤) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: تفسير المشكل: ص: ٢٥٤، تفسير غريب القرآن: ص: ٢٨٨.

(٥) الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُلمية من بني سُليم من قيس عيلان من مضر. أشهر شواعر العرب وأعرق على الإطلاق. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سُليم. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا في الجاهلية. لها ديوان شعر فيه ما بقي محفوظاً من شعرها، وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية فجعلت تحرضهم على الثبات حتى استشهدوا جميعاً، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. الموسوعة الشعرية.

(٦) التفسير الكبير للرازي: ٢٢٠/٢٢، والجامع لأحكام القرآن: ٣٤٠/١١، وتفسير فتح القدير: ٤٢٦/٣، والتحرير والتنوير: ١٤٦/١٧، وزاد

موطن الشاهد: (حراماً) بمعنى: (واجب).

قال الفراء[١]: ﴿ وَحَرَامٌ ﴾ أفشى في القراءة[٢].

وحجة من قرأ بفتح الحاء وإثبات الألف: ﴿ وَحَرَامٌ ﴾ أنه أراد: ضد الحلال.

وحجة من كسر الحاء وحذف الألف: (حِرْم) أنه أراد: وواجب عليهم الرجوع للجزاء، على أن (لا) صلة[٣].

قال الزجاج وأبو علي الفارسي[٤]: إن في الكلام إضماراً، أي: وحرام على قرية حكمنا باستئصالها. أو بالختم على قلوب أهلها، أن يتقبل منهم عمل، لأنهم لا يرجعون، أي: لا يتوبون. و(لا) غير زائدة.

وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما[٥]. وهو الأولى والأقرب من

المسير: ٢٨٤/٥، وتفسير البحر المحيط: ٣٣٩/٦، وتفسير روح المعاني: ٩١/١٧.

(١) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، مولى بني أسد، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وأمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت العربية. ولد في الكوفة سنة ١٤٤ هـ، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية أبنائه، جمع إلى علم اللغة الفقه والكلام والتاريخ والفلك والطب، وكان يميل إلى الاعتزال. من كتبه: معاني القرآن، واللغات، والأيام والليالي، توفي سنة ٢٠٧ هـ. انظر: تاريخ بغداد: ١٤٩/١٤، وغاية النهاية: ٣٧١/٢، والأعلام: ١٤٦/٨.

(٢) معاني القرآن للفراء: ٢١١/٢، وإعراب القراءات السبع وعللها: ٦٨/٢.

(٣) من مصطلحات أهل اللغة إطلاق لفظ (صلة) على الحرف الزائد ــ الذي لا عمل له نحوياً ــ في القرآن، وذلك تأدباً مع كلام الله تعالى، إذ كلام الله تعالى منزّه عن العبث والزيادة والنقصان. انظر: الحجة في القراءات السبع: ص: ٢٥١.

(٤) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أحد الأئمة في علم العربية، ولد في فسا من أعمال فارس سنة ٢٨٨ هـ، ودخل بغداد ٣٠٧ هـ، وتجوّل في كثير من البلدان، وقدم حلب ٣٤١ هـ، وأقام مدة عند سيف الدولة، وعاد إلى فارس فصحب عضد الدولة وعلّمه النحو، وصنّف له كتاب الإيضاح. اتهم بالاعتزال، وله شعر قليل، وسئل في المدن التي أقام بها أسئلة كثيرة فصنّف في أسئلة كل بلد كتاباً منها: المسائل الشيرازية، والعسكريات والبصريات والحلبيات والبغداديات. توفي في بغداد سنة ٣٧٧ هـ. من كتبه: التذكرة، وتعاليق سيبويه، والحجة للقراء السبعة. انظر: تاريخ بغداد: ٢٧/٧، وإنباه الرواة: ٢٧٣/١، والأعلام: ١٧٩/٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٥/٣، والحجة للقراء السبعة: ٢٦١/٥، والجامع لأحكام القرآن:

الأقوال. إذ ما فائدة الرجوع بعد الموت إذا كان ممتنعاً أصلاً؟

وتكون (لا) هنا نافية، والمعنى: حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة، أو رجوعهم إلى الدنيا. وقيل: ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليهم في الآخرة. وفيه ردٌّ على من أنكر البعث[1].

رابعاً: التفسير:

يبيِّن الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة أصلاً من أصول العقيدة، وهو البعث وأحواله. فيؤكد سبحانه أن العودة بعد الموت إلى الدنيا ممتنعة البتة، وأن قبول التوبة بعد الموت من المحال، إذ الدنيا دار العمل، والآخرة دار الجزاء.

فإذا ما أهلك الله بقدرته أهل قرية بالموت، فإنه ممنوع ومحجور عليهم أن يرجعوا إلى الدنيا ليتوبوا ويستغفروا، بعد أن عاينوا الحقيقة وانتبهوا بالموت. بل يبقون في حياة البرزخ في قبورهم يتنعمون أو يتعذبون إلى قيام الساعة[2].

٣٤٠/١١، والتفسير المنير: ١٣٢/١٧، وتفسير البغوي: ٣١٦/٣.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٢/٣، وتفسير البحر المحيط: ٣٣٨/٦.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٨٠/١٢، الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٠/١١.

وقد تباينت آراء المفسرين وأهل اللغة في تأويل هذه الآية، على أساس إعراب (لا)؛ زائدة أو غير زائدة.

قال النحاس[3]: والآية مشكلة، ومن أحسن ما قيل فيها وأجلّه: ما رواه ابن عيينة وكثيرون عن عكرمة[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية،

---

(٣) أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، مفسر وأديب، مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. من تصانيفه: تفسير القرآن، وإعراب القرآن، وناسخ القرآن ومنسوخه، ومعاني القرآن. انظر: إنباه الرواة: ١٠١/١، والبداية والنهاية: ٢٢٢/١١، والأعلام: ٢٠٨/١.

(٤) أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني، مولى عبد الله بن عباس، تابعي كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، ولد سنة ٢٥ هـ، طاف البلدان وروى عنه زهاء ٣٠٠ رجل، منهم أكثر من سبعين تابعياً، وذهب إلى نجدة الحروري فأقام عنده ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة، وخرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي الصفرية، وعاد إلى المدينة فطلبه أميرها فتغيب عنه حتى مات مع كثير عزة في يوم واحد سنة ١٠٥ هـ، فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس. انظر: تاريخ بغداد: ٢٥٧/١٢، وميزان الاعتدال: ٢٠٨/٢، والأعلام: ٢٤٤/٤.

قال: واجب أنهم لا يرجعون: أي: لا يتوبون[1].

وذهب بعضهم إلى أن (لا) مع (حرام) من قبيل نفي النفي، فيدل على الإثبات. والمعنى: وحرام على القرية التي قدَّرنا إهلاكها عدم رجوعها إلى الآخرة، بل واجب رجوعها للجزاء، فيكون الغرض إبطال قول من ينكر البعث.

وتحقيق ما تقدم: أنه لا كفران لسعي أحد، وأنه سبحانه سيحييه، وبعمله يجزيه. واللفظ الكريم يحتمله، ويتَّضح فيه[2].

خامساً: الاختيار:

ذكر الطبري أقوال القراء في القراءتين، ثم قال: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى، غير مختلفتيه، وذلك أن الحِرْم هو الحرام، والحرام هو الحِرْم، كما أن الحِلّ هو الحلال، والحلال هو الحِلّ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب[3].

---

(١) تفسير فتح القدير: ٤٢٦/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٣٤٠/١١، وتفسير ابن كثير: ١٩٩/٣، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ١٨٩/٦، وتفسير الخازن: ٢٧٦/٣.

(٢) تفسير البغوي: ٣١٧/٣، ومحاسن التأويل: ٤٣٠٩/١١، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ١٨٨/٦.

(٣) تفسير الطبري: ٨٦/١٧.

والاختيار لقراءة الفتح والألف: ﴿وَحَرَامٌ﴾ من حيث:

١ــ إنها قراءة العامة من القرَّاء، فهي أعزُّ سنداً.

٢ــ إنها اختيار الجُلّة؛ كأبي عبيدة[4] وأبي حاتم[5]، لدلالاتها، فهي أبْين لغة.

---

(٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، مولده سنة ١١٠ هـ، ووفاته سنة ٢٠٩ هـ بالبصرة. استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨، وقرأ عليه أشياء من كتبه. كان إباضياً شعوبياً من حفاظ الحديث. قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب، وصنف في مثالبهم كتباً، لم يحضر جنازته أحد لشدة نقده معاصريه. له نحو مئتي مؤلَف. من كتبه: مجاز القرآن، وإعراب القرآن، والأمثال، ومعاني القرآن. انظر: بغية الوعاة: ٢٩٤/٢، ومفتاح السعادة: ٩٣/١، والأعلام: ٢٧٢/٧.

(٥) أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي. حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم، ولد في الري سنة ١٩٥ هـ، وإليها نسبته، وتنقَّل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٧ هـ. له: طبقات التابعين، وتفسير القرآن العظيم، وأعلام النبوة. انظر: تاريخ بغداد: ٧٣/٢، والأعلام: ٢٧/٦.

٣ــ إن معنى القراءتين واحد لا تباين فيه، إلا أنها أفشى كما ذهب الفرّاء، فكانت أشهر دلالة وتفسيراً.

والله تعالى أعلم.

النموذج الثالث: الاختلاف في: ﴿ فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو عاصم وحمزة والكسائي: ﴿ فُتِحَتْ ﴾ خفيفة.

وقرأ ابن عامر: (فُتِّحَتْ) بتشديد التاء الأولى.

وقرأ الجمهور: (ياجوج وماجوج) بالتخفيف غير مهموز.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ بالهمز[1].

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص: ٤٣١، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ٧٦/٢، ١١٤، والنشر في القراءات العشر: ١٩٤/٢، و٣٠٦، وإتحاف فضلاء البشر: ص: ٢٦٣، و٣٩٤.

ثانياً: التوجيه المعنوي:

قراءة الجمهور: ﴿ فُتِحَتْ ﴾ على أن الفعل مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود على السدّ. ويجوز أن يكون والمعنى: حتى إذا فُتح سدُّ يأجوح ومأجوج، فأريد السدّ وأضيف الفعل إليهما، والسدُّ في اللفظ واحد، فلم يحمل على الكثرة لانفراده في اللفظ[2].

وقراءة التشديد: على أن الفعل مبني للمجهول أيضاً، ونسبة الفتح إلى يأجوج ومأجوج مجاز، وهي حقيقة في السدّ، أو إلى الكلام على حذف المضاف وهو السدُّ، وإقامة المضاف إليه مقامه[3].

وعلامة التأنيث في فعل ﴿ فُتِحَتْ ﴾ لتأويل يأجوج ومأجوج بالأمة، ثم يقدّر المضاف وهو السدُّ، فيكتسب التأنيث من المضاف إليه[4].

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

أصل (الفتح): إزالة الإغلاق والإشكال. وذلك ضربان؛ أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب، والمتاع. والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهمّ، وهو إزالة الغمّ، وذلك ضروب؛ أحدها: في الأمور

(٢) الحجة للقراء السبعة: ٢٦٢/٥.

(٣) تفسير روح المعاني: ٩٣/١٧.

(٤) التحرير والتنوير: ١٤٩/١٧.

الدنيوية؛ كغمٍّ يفرَّج، وفقر يزال بإعطاء المال، ونحوه. والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فتح من العلم باباً مغلقاً[1].

حجة قراءة ابن عامر: (فُتِّحَت) بالتشديد، أنه ذهب إلى المعنى، أي: مرة بعد مرة. والتشديد أقوى، لأن ثَمَّ سدَّاً وبناءً ورددماً يفتح، وذلك كثير في المعنى، فجعله مثل: ﴿ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠]، فالفتح يكون لأشياء مختلفة، والتشديد أولى به[2]. كما أن التشديد يفيد معنى التكثير والتكرير. والمراد بالتكثير هنا؛ إما كثرة التفتيح، أو كثرة الخارجين من الفتح[3].

وحجة قراءة الجمهور: ﴿ فُتِحَتْ ﴾ تخفيفاً، أن الفعل في الظاهر مسند إلى هذين الاسمين، فلِمَ يُحمل ذلك على الكثرة، فيجعله بمنزلة: ﴿ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠]. كما أرادوا به مرة واحدة. والتخفيف أبين، لأن تقديره: حتى إذا فُتِح سدّ يأجوج ومأجوج، فهو واحد. ولا معنى للتكثير[4].

(١) المفردات في غريب القرآن: ص: ٣٧٠.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١١٤/٢.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٨٠/٦، والحجة للقراء السبعة: ٢٦٢/٥.

رابعاً: التفسير:

تبيِّن الآية الكريمة علامة هامة، وحلقة مميزة ضمن أشراط الساعة، والتي بظهورها تتوالى الأشراط تباعاً، وهي ظهور يأجوج ومأجوج. وقد تكرر ذكرهما في قصة ذي القرنين في سورة الكهف، وأخرج الشيخان وغيرهما أحاديث عديدة في أمر خروجهما، وتناقلت كتب التفسير أخبارهما. وهما اسمان أعجميان لقبيلتين من أمة واحدة من جنس الإنس، يقال: الناس عشرة أجزاء؛ تسعة منها يأجوج ومأجوج. وهم من الكثرة بحيث أخبر ﷺ في حديث بعث النار عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب

(٤) إعراب القراءات السبع وعللها: ٦٧/٢، وحجة القراءات: ص: ٤٧٠.

٣ــ إن معنى القراءتين واحد لا تباين فيه، إلا أنها أفشى كما ذهب الفرّاء، فكانت أشهر دلالة وتفسيراً.

والله تعالى أعلم.

النموذج الثالث: الاختلاف في: ﴿ فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾

من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو عاصم وحمزة والكسائي: ﴿ فُتِحَتْ ﴾ خفيفة.

وقرأ ابن عامر: (فُتِّحَتْ) بتشديد التاء الأولى.

وقرأ الجمهور: (ياجوج وماجوج) بالتخفيف غير مهموز.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ بالهمز[1].

ثانياً: التوجيه اللغوي:

قراءة الجمهور: ﴿ فُتِحَتْ ﴾ على أن الفعل مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود على السدّ. ويجوز أن يكون والمعنى: حتى إذا فُتِح سدُّ يأجوج ومأجوج، فأريد السدّ وأضيف الفعل إليهما، والسدُّ في اللفظ واحد، فلم يحمل على الكثرة لانفراده في اللفظ[2].

وقراءة التشديد: على أن الفعل مبني للمجهول أيضاً، ونسبة الفتح إلى يأجوج ومأجوج مجاز، وهي حقيقة في السدّ، أو إلى الكلام على حذف المضاف وهو السدُّ، وإقامة المضاف إليه مقامه[3].

وعلامة التأنيث في فعل ﴿ فُتِحَتْ ﴾ لتأويل يأجوج ومأجوج بالأمة، ثم يقدّر المضاف وهو السدُّ، فيكتسب التأنيث من المضاف إليه[4].

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

أصل (الفتح): إزالة الإغلاق والإشكال. وذلك ضربان؛ أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب، والمتاع. والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهمّ، وهو إزالة الغمّ، وذلك ضروب؛ أحدها: في الأمور

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص: ٤٣١، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ٧٦/٢، ١١٤، والنشر في القراءات العشر: ١٩٤/٢، و٣٠٦، وإتحاف فضلاء البشر: ص: ٢٦٣، و٣٩٤.

(٢) الحجة للقراء السبعة: ٢٦٢/٥.

(٣) تفسير روح المعاني: ٩٣/١٧.

(٤) التحرير والتنوير: ١٤٩/١٧.

الدنيوية؛ كغمٍّ يفرَّج، وفقر يزال بإعطاء المال، ونحوه. والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فتح من العلم باباً مغلقاً[1].

حجة قراءة ابن عامر: (فُتِّحَت) بالتشديد، أنه ذهب إلى المعنى، أي: مرة بعد مرة. والتشديد أقوى، لأن ثَمَّ سدّاً وبناءً وردماً يفتح، وذلك كثير في المعنى، فجعله مثل: ﴿ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠]، فالفتح يكون لأشياء مختلفة، والتشديد أولى به[2]. كما أن التشديد يفيد معنى التكثير والتكرير. والمراد بالتكثير هنا؛ إما كثرة التفتيح، أو كثرة الخارجين من الفتح[3].

وحجة قراءة الجمهور: ﴿ فُتِحَتْ ﴾ تخفيفاً، أن الفعل في الظاهر مسند إلى هذين الاسمين، فلِمَ يُحمل ذلك على الكثرة، فيجعله بمنزلة: ﴿ مُفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠]. كما أرادوا به مرة واحدة. والتخفيف أبين، لأن تقديره: حتى إذا فُتِح سدّ يأجوج ومأجوج، فهو واحد. ولا معنى للتكثير[4].

رابعاً: التفسير:

تبيِّن الآية الكريمة علامة هامة، وحلقة مميزة ضمن أشراط الساعة، والتي بظهورها تتوالى الأشراط تباعاً، وهي ظهور يأجوج ومأجوج. وقد تكرر ذكرهما في قصة ذي القرنين في سورة الكهف، وأخرج الشيخان وغيرهما أحاديث عديدة في أمر خروجهما، وتناقلت كتب التفسير أخبارهما. وهما اسمان أعجميان لقبيلتين من أمة واحدة من جنس الإنس، يقال: الناس عشرة أجزاء؛ تسعة منها يأجوج ومأجوج. وهم من الكثرة بحيث أخبر ﷺ في حديث بعث النار عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب

(١) المفردات في غريب القرآن: ص: ٣٧٠.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١١٤/٢.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٨٠/٦، والحجة للقراء السبعة: ٢٦٢/٥.

(٤) إعراب القراءات السبع وعللها: ٦٧/٢، وحجة القراءات: ص: ٤٧٠.

الله شديد)). قالوا: يا رسول الله! وأينا ذلك الواحد؟ قال: ((أبشروا، فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً))[1].

وفي الفتح تقدير محذوف وهو السدُّ، أي: حتى إذا فُتح سدُّ يأجوج ومأجوج، مثل: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: واسأل أهل القرية، ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، أو التقدير: حتى إذا فُتح عن يأجوج ومأجوج، وهما أمّتان من الأمم ردمهما. فيحشرون إلى أرض الموقف، ويسرعون في خروجهم من كل صوب وشرف. وهم لكثرتهم ينسلون ويسرعون في خروجهم من كل حدب (مرتفع من الأرض)، مأخوذ من نَسَلان الذئب إذا أسرع. قال الشاعر:

عَسَلانَ الذئب أمسَى قارِباً
بَرَدَ الليلُ عليه فَنَسَل[2]

وموطن الشاهد: (فَنَسَلْ)، أي: أسرع. وعندها يقترب الوعد الحق، وهو قيام الساعة، وفي هذا دليل على إثبات النشر والحشر[3].

وفي صحيح مسلم عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد ﷺ قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا فقال: ((ما تذكرون؟ قلنا: الساعة. قال: إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس)). وفي رواية: ((وقال أحدهما في العاشرة: نزول عيسى ابن مريم ﷺ. وقال الآخر: وريح تلقي الناس في البحر))[4].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج: ٤٥٥/٤، رقم الحديث: ٣٣٤٨.

(٢) البيت ينسب إلى لبيد، وإلى النابغة الجعدي. انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٤١/١١، وتفسير الطبري: ٩١/١٧، والمحرر الوجيز: ٢٠٧/١٠، ولسان العرب: ٤٤٦/١١، ٦٦١. مادة: (عسل)، و(نسل).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٣٤١/١١، وتفسير الكشاف: ٥٨٤/٢، وتفسير الطبري: ٨٧/١٧، وتفسير النسفي: ٨٩/٣، وتفسير البغوي: ٣١٧/٣، والتفسير الكبير للرازي: ٢٢٢/٢٢، والمحرر الوجيز: ٢٠٦/١٠، وتفسير روح المعاني: ٩٢/١٧، والتفسير المنير: ١٣٠/١٧، وتفسير فتح القدير: ٤٢٦/٣، وتفسير ابن كثير: ٢٠١/٣، وتفسير البحر المحيط: ٣٣٩/٦.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة: ٢٢٢٦/٤، رقم الحديث: ٢٩٠١/٤٠.

خامساً: الاختيار:

الاختيار لقراءة التخفيف: ﴿ فُتِحَتْ ﴾ من حيث:

١ــ إنها قراءة الجماعة من السبعة، فهي أعزُّ سنداً.

٢ــ إن التشديد تكلُّف وتحميل للفعل ما لم يقصده من التكثير والتكرير. أما التخفيف فمرجَّح، حيث يفيد الفتح مرة واحدة، فهو أبين لغة.

٣ــ إنها تتوافق مع النصوص وتؤيدها، فهي أوضح دلالة وتفسيراً.

والله تعالى أعلم.

النموذج الرابع: الاختلاف في: ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾

من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: (لِلْكِتَابِ) بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد. وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع[1].

ثانياً: التوجيه النحوي:

حجة من قرأ: (لِلْكِتَابِ) بالإفراد ولم يجمع، فإنه واحد يراد به الكثرة، فيكون الكتاب بمعنى الكتب، كما أن قول من قرأ: (كل آمن بالله وملائكته وكتابه) [البقرة: ٢٨٥] كذلك[2].

وجائز أن يكون الكتاب بمعنى الكتابة فهو مصدر، ويجوز أن يكون بمعنى الكتب فيؤول إلى الجنس.

وحجة من قرأ: ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ بالجمع أن لفظ السماء موحَّد، يراد به الجمع، لأن السماوات كلها تطوى، ليس تطوى سماء واحدة، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وإذا كانت السماء يراد بها الجمع، فمعناه: يوم نطوي السماوات كطيِّ المَلَك للكتب، فأتت الكتب بالجمع كالسماوات[3].

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص: ٤٣١، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: ١١٤/٢، والنشر في القراءات العشر: ٢٤٤/٢.

(٢) الحجة للقراء السبعة: ٢٦٤/٥.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١١٤/٢.

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

حجة من وحَّد في القراءة: (للكتاب) ما رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (السجل كاتب كان للنبي ﷺ)[١].

فإن صحَّ ذلك فالطيُّ مضاف إلى كاتبه، والتقدير: كطيِّ الرجل الصحيفة.

وقد ذكر ابن كثير أنه صرَّح بوضعه جماعة من الحفاظ، فهو منكر لا يصح[٢].

كذلك ردَّه الطبري بحجة أن الكتَّاب معروفون، وليس فيهم أحد اسمه (السجل)[٣].

وقال السدِّيُّ[٤]: السجلّ مَلَك يكتب أعمال العباد، يطوي الكتاب، فيكون (طيّ) على هذين القولين مضافاً إلى الفاعل، واللام في (الكتاب) زائدة.

والتقدير: كطيِّ المَلَك الكتاب.

وقال قتادة[٥]: السجل الصحيفة التي فيها الكتب بعينها، والمعنى: كطيِّ الصحيفة فيها الكتب. فيكون المصدر مضافاً إلى الفعل.

والتقدير: كما يطوي الطاوي السجل ليكتب فيه، أي: يدرج الكتب فيها. أو ليصان الكتاب الذي فيه.

وهذا اختيار أكثر المفسرين[٦].

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في اتخاذ الكاتب: ١٣٢/٣، رقم الحديث: ٢٩٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٠٥/٣.

(٣) تفسير الطبري: ١٠٠/١٧.

(٤) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردى: صاحب التفسير والمغازي والسير. وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. توفي سنة ١٢٨ هـ. النجوم الزاهرة: ٣٠٨/١، والأعلام: ٣١٧/١.

(٥) أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عُزيز السدوسي البصري، ولد سنة ٦١ هـ، مفسر حافظ ضرير أكمه، قال فيه أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث. مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: ١١٥/١، ووفيات الأعيان: ٤٢٧/١، والأعلام: ١٨٩/٥.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٣/٣، والبحر المحيط: ٣٤٣/٦، وتفسير الكشاف: ٥٨٥/٢، وروح المعاني: ١٠٠/١٧، وتفسير فتح القدير: ٤٣٢/٣، والمحرر الوجيز: ٢١٤/١٠، وتفسير البغوي: ٣٢٠/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٣٤٧/١١، وتفسير الطبري: ١٠٠/١٧.

وتكون (اللام) غير زائدة، دخلت للتعدي، أي: قد تعدَّت الطيُّ إلى مفعول، وهو السجل، فيكون التوحيد: (الكتاب) على لفظ السماء، شبَّه تعالى ذكره طيَّه للسماء كطيِّ المَلَك للكتاب[١].

وقيل: (اللام) بمعنى (على)، والمعنى: كما يطوى السجل على ما فيه من كتاب، وقيل: متعلّق بطيّ[٢]. وقيل: السجل هو بمعنى الرجل في لغة الحبش.

وقد رجّح ابن عاشور أن يراد بالسجل الكاتب الذي يكتب الصحيفة، ثم يطويها عند انتهاء كتابتها، وذلك عمل معروف، والتشبيه به رشيق[٣].

وحجة من قرأ: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ بالجمع أنه جمع اللفظ، كما أن المراد به في المعنى الجمع بمعنى الصحف، أي: كتب بني آدم التي تسجَّل فيها أعمالهم[٤].

والسجل يطلق على الكتاب وعلى الكاتب[٥]. والمراد بالكتاب: المكتوب، فلما كان المكتوب ينطوي بانطواء الصحيفة، جعل السجلّ كأنه يطوي الكتاب[٦].

رابعاً: التفسير:

يذكّر الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة بأهوال يوم القيامة، حين يتقوَّض بناء السماء، وتمحى وتطمس رسومها، وتكدر نجومها، وتتهاوى الكواكب بعد زوال ما بينها من تجاذب وتماسك، فيختلّ نظامها، ويفسد تركيبها، وتختفي معالمها كما تختفي الكتابة حين يطوي الكاتب رسالته على ما فيها، فلا يبقى أمرها على ما نعاينه اليوم، ويخرب العالَم بأسره، فيعود كل شيء إلى العدم كما كان قبل خلقه، وتتبدل مشاهد الكون بأسرها. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. فكما خلقنا أول الأمر كل شيء من العدم، فإننا نعيده إلى العدم.

---

(١) حجة القراءات: ص: ٤٧١، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١١٤/٢.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ص: ٥٨٥، وكشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن: ١٢٢/٢، وتفسير البغوي: ٣٢٠/٣

(٣) التحرير والتنوير: ١٥٩/١٧.

(٤) تفسير البحر المحيط: ٣٤٣/٦، والحجة للقراء السبعة: ٢٦٤/٥، والهادي شرح طيبة النشر: ٦١/٣.

(٥) القاموس المحيط: ص: ١٣٠٩، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٨٨/١٢.

(٦) زاد المسير: ٢٩٠/٥، ومعاني القرآن للفراء: ٢١٣/٢، ومعاني القرآن وإعرابه: ٤٠٦/٣، والحجة في القراءات السبع: ص: ٢٥١.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب، فقال: ((إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾))[1]، يعني: وعداً علينا إنجازه والوفاء به، وهو الإعادة والبعث[2].

خامساً: الاختيار:

القراءة الأولى محمولة على لفظ السماء في الإفراد، والقراءة الثانية محمولة على معنى السماء في الجمع، وهما متقاربتان، والرسم يحتملهما[3].

والاختيار لقراءة الإفراد والتوحيد (للكتاب)، من حيث:

١ــ إنها قراءة الأكثرين من قرأة السبعة، فهي أشهر سنداً.

٢ــ إن تأويلها في الإفراد: أقرب من معنى الجمع، لأن الكتاب يجمع المعنيين إن كان مصدراً، وإن كان واحداً فهو يؤدي عن معنى الجمع للكتب[4]. فهي أبين لغة.

٣ــ إن آية [البقرة: ٢٨٥] والخبر عن رسول الله ﷺ المتقدم يعزّزانها في الاختيار[5]، فهي أقرب دلالة وتفسيراً. والله تعالى أعلم.

النموذج الخامس: الاختلاف في: ﴿ قَٰلَ ﴾ و ﴿ تَصِفُونَ ﴾

من قوله تعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

أولاً: أوجه اختلاف القراءات:

قرأ الجمهور: (قُلْ رَبِّ احْكُمْ) بضم القاف من غير ألف وإسكان اللام على الأمر.

وقرأ حفص عن عاصم وحده: ﴿ قَٰلَ ﴾ بفتح القاف، وإثبات الألف بعدها، وفتح اللام على الخبر.

واختلفوا في الياء والتاء في قوله: ﴿ تَصِفُونَ ﴾ من قوله تعالى:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب كيف الحشر: ٢٤٩/٧، رقم الحديث: ٦٥٢٦.

(٢) التفسير الكبير للرازي: ٢٢٨/٢٢، وتفسير الطبري: ١٠٠/١٧، وتفسير البغوي: ٣٢٠/٣، ومحاسن التأويل: ٤٣١٣/١١، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة: ٩٢/٣، والتفسير المنير: ١٤١/١٧، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ١٩٤/٦.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ١١٤/٢، وإتحاف فضلاء البشر: ص: ٣٩٥، والتحرير والتنوير: ١٥٩/١٧.

(٤) حجة القراءات: ص: ٤٧١، وتفسير الطبري: ١٠١/١٧، وتفسير فتح القدير: ٤٣٢/٣.

(٥) الحجة للقراء السبعة: ٢٦٤/٥.

﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾؛

فقرأ الجمهور: ﴿ تَصِفُونَ ﴾ بتاء الخطاب.

وقرأ ابن عامر وحده: (على ما يصفون) بياء الغيب في رواية ابن ذكوان.

وفي رواية هشام بن عمار: ﴿ تَصِفُونَ ﴾ بتاء الخطاب كالجمهور[1].

ثانياً: التوجيه النحوي:

قراءة الجمهور: (قلْ رَبِّ) بصيغة فعل الأمر: (قُلْ)، وهي خطاب من الله تعالى لنبيِّه بأن يقول ذلك.

أما رواية حفص: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ﴾ بصيغة الفعل الماضي: (قال)، والفاعل ضمير مستتر يعود على الرسول ﷺ، فهي إخبار من الله تعالى عن نبيِّه أنه قال ذلك.

و(رَبِّ) بكسر الباء (بالإجماع) منادى في موضع نصب مضاف لياء المتكلم، حُذِفَت منه الياء للتخفيف، واكتفى بالكسرة قبلها لمناسبة الياء المحذوفة، وهي لغة فاشية من عدة لغات فصيحة في نداء المضاف لياء المتكلم[2].

و(احكم) على الأمر[3].

وقال ابن خالويه[4]: فإن قال قائل: الله تعالى لا يحكم إلا بالحق، فلِمَ قيل: ﴿ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ ؟

فقل: التقدير: يا ربِّ احكمْ بحكمك الحقَّ. ثم سمَّى الحُكْم حقاً[5].

وقراءة: ﴿ تَصِفُونَ ﴾ بياء الغيبة على الالتفات.

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص: ٤٣٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: ١١٥/٢، والنشر في القراءات العشر: ٢٤٤/٢.

(٢) حاشية الصبان: ٨٤/٣، وإتحاف فضلاء البشر: ص: ٣٩٥، ومعاني القرآن للفراء: ٢١٤/٢، والتوجيهات والآثار النحوية والصرفية: ٣٥٨/١، والهادي شرح طيبة النشر: ٦٠/٣.

(٣) التبيان في إعراب القرآن: ص: ٥٨٦.

(٤) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، نشأ في همذان، ثم وفد إلى بغداد ليتلقى عن شيوخها وعلمائها. له باع في اللغة والأدب، أشيع عن تشيّعه لكن الذهبي أكّد سنيّته، وذكره السبكي في طبقات الشافعية. توفي في حلب سنة ٣٧٠ هـ. من تآليفه: الحجة في القراءات السبع، وإعراب ثلاثين سورة، والجمل في النحو، والاشتقاق، والبديع. انظر: بغية الوعاة: ٥٢٩/١، وغاية النهاية: ٢٣٧/١.

(٥) زاد المسير: ٢٩٣/٥، وتفسير البغوي: ٣٢١/٣.

وقراءة: (يصفون) بتاء الخطاب لمناسبة قول الله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنبياء: ١٠٩][1].

ثالثاً: التوجيه اللغوي:

قراءة الجمهور: (قلْ ربِّ) خطاب من الله تعالى لنبيِّه بأن يقول ذلك، أي: قل يا محمد: يا ربِّ احكم بالحق. كما خاطبه قبل ذلك بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ليجيب به المعرضين عن دعوته.

أما رواية حفص: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ﴾ إخبار من الله تعالى عما قاله الرسول ﷺ للمعرضين عن دعوته. فقد قال: (يا ربِّ احكم بالحق)[2].

قال الزجاج: كان مَن مضى من الرسل يقولون: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٨٩].

ومعناه: احكم، فأمر الله عزَّ وجلَّ نبيَّه أن يقول: ﴿ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، أي: على ما تكذبون[3].

حجة قراءة التاء: ﴿ تَصِفُونَ ﴾ على ما تكذِّبون به من ردِّكم إعادة الأموات.

وحجة قراءة الياء: (على ما يصفون)، يصف هؤلاء الكفار من كذبهم فيما يكذبون به من إحياء الأموات والبعث والنشور والجنة والنار[4].

رابعاً: التفسير:

أمر الله تعالى الرسول ﷺ حين أمعن قومه في عنادهم أن يلجأ إليه، ويستعين به، ويفوِّض الأمر إليه في شأنهم، ويقول: ربِّ اقضِ بيني وبين قومي من أهل مكة المكذبين المعاندين بالحق والعدل، أنت ربي الذي وسعت رحمته كل شيء، وأنت المستعان على ما يصفون من الأباطيل والإفك، فقولك الحق، وأنت الحق، ووعدك الحق، وحكمك بالحق، ولا تحبّ إلا الحق.

(١) إعراب القراءات السبع وعللها: ٦٩/٢، و٧٠، والحجة في القراءات السبع: ص: ٢٥٢، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة: ٩٥/٣، والهادي شرح طيبة النشر: ٦٠/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٣٥١/١١، وتفسير البحر المحيط: ٣٤٥/٦.

(٢) حجة القراءات: ص: ٤٧١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٨/٣.

(٤) الحجة للقراء السبعة: ٢٦٥/٥.

عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا شهد غزاة قال: ﴿ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾.

وطلب الحكم بالحق ههنا بمعنى ما يحق عليهم بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب، والتشديد عليهم. فهو دعاء بالتعجيل والتشديد، وإلا فكل قضائه تعالى عدل وحق.

وأمْرُ الله تعالى بهذا الدعاء دليل على الإجابة والعِدَة بها، فلقد عُذِّبوا في بدر وأحد وحنين والخندق، ونصر الله نبيَّه عليهم. نظيره قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف:][1].

﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، أي: والله ربنا هو المطلوب منه العون والتأييد على ما تصفون من الشرك والكفر، والكذب والباطل، من ادعاء الولد، والاتهام بالسحر والجنون، وأن هذا القرآن شعر.

وهكذا تتبلور عقيدة المؤمن الصادق في وقت الأزمات ومواجهة النكبات، فيفوِّض أمره إلى الله، ويترجَّى الفرج منه سبحانه[2].

قال الفخر الرازي: قال القاضي: إنما ختم الله تعالى هذه السورة بقوله: ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، لأنه عليه الصلاة والسلام كان قد بلغ في البيان الغاية لهم، وبلغوا النهاية في أذيَّته وتكذيبه. فكان قصارى أمره تعالى بذلك تسلية له وتعريفاً أن المقصود مصلحتهم، فإذا أبوا إلا التمادي في كفرهم، فعليك بالانقطاع إلى ربك ليحكم بينك وبينهم بالحق،؛ إما بتعجيل العقاب بالجهاد، أو بغيره، وإما بتأخير ذلك فإنَّ أمره وإن تأخَّر فما هو كائن قريب. وما روي أنه ﷺ كان يقول ذلك في حروبه كالدلالة على أنه تعالى أمره أن يقول هذا القول كالاستعجال للأمر بمجاهدتهم. وبالله التوفيق[3].

(١) تفسير الطبري: ١٠٨/١٧، وتفسير فتح القدير: ٤٣١/٣، وتفسير ابن كثير: ٢٠٧/٣، وتفسير البغوي: ٣٢١/٣، وتفسير الخازن: ٢٧٩/٣، وتفسير النسفي: ٩٢/٣، وتفسير روح المعاني: ١٠٨/١٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٠٨/١٧، ومحاسن التأويل: ٤٣١٦/١١، وتفسير المحرر الوجيز: ٢١٨/١٠، والتحرير والتنوير: ١٧٥/١٧، والتفسير المنير: ١٤٥/١٧، والمستنير في تخريج القراءات المتواترة: ٩٥/٣.

(٣) التفسير الكبير للرازي: ٢٣٤/٢٢.

خامساً: الاختيار:

القراءتان متوافقتان في الرسم شكلاً، مختلفتان في التلقّي سماعاً ونقلاً. متباينتان نحْواً ومعنىً. والاختيار لقراءة الجمهور في: (قُلْ)، من حيث:

١ــ إنها قراءة عامة القراء السبعة إلا رواية حفصٍ، فهي أقوى وأعزُّ سنداً.

٢ــ إن الأمر في: (قل) يتناسب مع طلب الدعاء والمسألة أكثر منه في الإخبار عن الماضي: (قال)، فهي أبيَنُ وأوضحُ لغة.

٣ــ إن الأحاديث تؤكد الاستجابة للأمر حين دعا، فهي أقرب دلالة وتفسيراً.

كذلك الاختيار لقراءة الجمهور في ﴿ تَصِفُونَ ﴾، من حيث:

١ــ إنها قراءة جمهرة القرَّاء السبعة إلا ابن عامر في إحدى روايتيه، فهي أقوى سنداً.

٢ــ إن القراءة بتاء المخاطبة تتضمن معنى القراءة بياء الغيبة ضمناً، فهي أشمل لغة.

٣ــ إنها تفيد معنى الشمول والعموم، فهي أبيَنُ دلالة وتفسيراً.

والله تعالى أعلم.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

في ختام هذا البحث المتواضع، ومن خلال تناول الآثار المختلفة للقراءات المذكورة فيه، يمكن تلخيص نتائجه في النقاط التالية:

١ــ الاختلاف في القراءات لا يحمل أيَّ معنى لتناقض أو تضادٍّ، ولا تصادم أو تعارض لمدلول أيٍّ من المفردات، إنما يتمخَّض عن نبع وهطل، وتدفّق وإرواء، لآثار هذا التشريع ومصادره، بما يفيض فيه من معانٍ ودلالات.

٢ــ اختلاف القراءات وتعدد الروايات يحمل في طيّاته حِكَماً تشريعية جليلة، وفوائد علمية عظيمة، تدعو الباحثين إلى إماطة اللثام عنها، وتبيانها واكتشاف حِكَمِها وعللها، لتضاف إلى الثروة التشريعية رصيداً ثميناً.

٣ــ القاعدة: (اختلافهم رحمة واسعة، وإجماعهم حجة قاطعة) تتجلى واضحة في اختلاف القراءات، فلا يحمل الاختلاف معنى الخلاف بما يجرُّ المخالف إلى الفُرقة والخصام، ويؤدي بخلافه إلى الشقاق والنزاع. إنما يتمثّل في تحقيق معنى

الرحمة والسعة، والتخفيف ورفع المشقة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وفرق كبير في معنى الاختلاف هنا في هذه الآية عن الذي تضمنه اختلاف القراءات، وهو الذي تنزّه كلام الله تعالى عن تضمُّنه.

٤ــ اختلاف القراءات المتواترة يقدِّم لعلماء اللغة والفقه والتفسير مادة علمية هامة في رفد هذه العلوم وغيرها، بما حوته تلك القراءات من آثارٍ تعمِّق شمولية التشريع، وتؤكد منهجية الإسلام، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

٥ــ البحث في أوجه اختلاف القراءات وبيان أثرها الفقهي أو اللغوي أو التفسيري هو لون من ألوان بيان الإعجاز القرآني الذي يتدفق على كرِّ الأيام ومرِّ الزمان عطاءً وإثراءً، ويبقى الباب مفتوحاً أمام الباحثين لتقصِّي هذه الدلالات، واستنباط تلك الإشارات، والتي لا يُتصوَّر نفادُها، ولا يُعقَل جفافُها. قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

٦ــ وإن كان لا بد من توصيات فآمل أن تضاف في كليات الشريعة وأصول الدين مادة تتناول هذا الموضوع لعظيم مكانته وأهميته.

وصلّى الله وسلّم على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مراجع البحث

١- إتحاف فضلاء البشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٤١٩ـ١٩٩٨.

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤ـ١٩٩٣.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ومعه الاستجابة في أسماء الصحابة لابن عبد البر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٥.

٤- إعراب القراءات السبع وعللها، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العيثمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢.

٥- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ثانية، ١٩٨٦.

٦- إنباه الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القرطبي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ط/أولى، ١٤٠٦ـ١٩٨٦.

٧- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، دار ابن كثير، بيروت، ١٣٨٨ـ١٩٦٧.

٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط/ثانية، ١٣٩٩ـ١٩٧٩.

٩- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، الحافظ البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٠- التبيان في إعراب القرآن المسمى (إملاء ما منَّ به الرحمن)، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق سعد كريم الفقي، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط/أولى، ٢٠٠١.

١١- تذكرة الحفاظ، الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، نشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٠ـ١٩٧٠.

١٢- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥ـ١٩٨٥.

١٣- تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية الأندلسي، طبع على نفقة أمير دولة قطر، الدوحة.

١٤- تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

١٥- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، دار المعرفة، بيروت.

١٦- تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/ثالثة، ١٣٨٨ـ١٩٦٨.

١٧- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، دار الفكر، بيروت، ط/أولى، ١٤٠١ـ١٩٨١.

١٨- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ،ط/أولى، ١٣٧٦ـ١٩٨٧.

١٩- تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق حسين إبراهيم زهران، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ـ١٩٩٢.

٢٠- تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣ـ١٩٩٣.

٢١- التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، أثير الدين أبو حيان الأندلسي، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ثانية، ١٤١٤ـ١٩٩٠.

٢٢- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، شركة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ١٩٧٢

٢٣- تفسير غريب القرآن، محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ـ١٩٧٨.

٢٤- تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، دار النور الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

٢٥- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١.

٢٦- تفسير النسفي المسمّى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الإمام النسفي، عناية الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ـ١٩٩٥.

٢٧- التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة، د/ علي محمد فاخر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٩.

٢٨- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٩- حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ثانية، ١٣٩٩ـ١٩٧٩.

٣٠- الحجة في القراءات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/سادسة، ١٤١٧ـ١٩٩٦.

٣١- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق بدر الدين القهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط/أولى، ١٩٨٤.

٣٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، عناية علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٩٩٤.

٣٣- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، ومعه السيرة النبوية لابن هشام، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

٣٤- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، عناية أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٩٩٤.

٣٥- سنن أبي داود السجستاني، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجنان، بيروت، ط/أولى، ١٤٠٩ـ١٩٨٨.

٣٦- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/أولى، ١٤١٥ـ١٩٩٥.

٣٧- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، ط/ثالثة، ١٩٨٣.

٣٨- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ـ١٩٨٢.

٣٩- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦ـ١٩٥٦.

٤٠- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣ـ١٩٦٤.

٤١- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن سيد الناس، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤.

٤٢- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أو الخير محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط/ثالثة، ١٩٨٢.

٤٣- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب صديق بن حسن بن الفتوحي البخاري، مراجعة عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، نشر دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٤١٠ـ١٩٨٩.

٤٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر، ط/ثالثة، ١٣٩٣ـ١٩٧٣.

٤٥- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢ـ١٩٩١.

٤٦- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ثانية، ١٣٩٣ـ١٩٧٣.

٤٧- كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط/ثانية، ١٤٠٠ـ١٩٨٠.

٤٨- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، علي بن الحسن الباقولي، تحقيق عبد القادر عبد الرحمن السعدي، دار عمار، عمان، ٢٠٠١.

٤٩- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق محيي الدين رمضان، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤.

٥٠- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط/ثالثة، ١٩٩٤.

٥١- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الجدافي، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥ـ١٩٩٥.

٥٢- المستنير في تخريج القراءات المتواترة، د/ محمد سالم محيسن، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط/أولى، ١٣٩٦ـ١٩٧٦.

٥٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار القلم، بيروت.

٥٤- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤.

٥٥- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/ثانية، ١٩٥٥.

٥٦- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.

٥٧- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٨- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٥٩- الموسوعة الشعرية، (CD) إنتاج المجمع الثقافي، أبو ظبي.

٦٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الجديدة، ١٣٨٢ـ١٩٦٣.

٦١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف تغري بردي الأتابكي، دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٣٨٣ـ١٩٦٣.

٦٢- النشر في القراءات العشر، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تخريج الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، ١٩٩٨.

٦٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ط/ثانية، ١٤١٣ـ١٩٩٢.

٦٤- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، د/ محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، ط/أولى، ١٤١٧ـ١٩٩٧.

٦٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩.

تم بحمد الله تعالى